الاوضاع الراهنة لليهود السوريين

أسامة الغزي

نظرة عامة : احتلت قضية الاقليات الدينية حيزا هاما في تاريخ الاقطار العربية الحديث، وكان لها ، في كثير من الاحيان ، آثار سلبية على مجرى النضال العربي من اجل التحرر والاستقلال . وبالرغم من أن منشأ هذه الظاهرة ، يعود الى أسباب موضوعية في تلك المرحلة فان القوى الاستعمارية قد عمدت دوما الى استغلالها واستثمارها بتغذية جذورها وتعميق وجودها في المجتمعات العربية . وتدخل قضية الاقلية الدينية اليهودية في البلاد العربية ، وخاصة في المشرق العربي ، ضمن هذا الاطار العام ، بالرغم من بعض الفوارق الهامة التي تميز اوضاع هذه الطائفة .

وفي هذه الدراسة سنتناول الاوضاع الراهنة لابناء الطائفة اليهودية من مواطني الجمهورية العربية السورية ، في محاولة ، هي الاولى في هذا المجال ، للتعرف على هذه الاوضاع بكافة جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية(١) .

وقد دفع الى القيام فيها عاملان اساسيان : العامل الاول ، هو محاولة استكشاف جانب من جوانب المجتمع السوري كثيرا ما اتسم بالغموض ، او انتشرت حوله بعض الاوهام ، خاصة وأن هذا الغموض لم يكن مقصودا بل كان نتيجة للنقص العام في الدراسات الموضوعية العلمية حول كثير من جوانب الحياة في سوريا ، والجانب الاقتصادي منها على وجه الخصوص ، ولما كانت الطائفة اليهودية ، طائفة ذات فعالية اقتصادية بالدرجة الاولى ، فان النقص في هذا الميدان قد انعكس عليها بدرجة أكبر . ثم ان الدراسات المتوافرة حول الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سوريا ، على ندرتها ، لم تتناول حياة اليهود السوريين (كجماعة مستقلة) لعدم وجود ما يبرر مثل هذا التخصيص . ومن هذه الزاوية واجهت الدراسة مشكلة هامة ، هي مشكلة المصادر ، فكان لا بد من الاعتماد على طريقة « البحث الميداني » في التقصي والملاحظة المباشرة لكافة المعلومات الواردة فيها .

أما العامل الثاني ، الذي دفع الى القيام بهذه الدراسة ، فهو النشاط الاعلامي المنظم الذي تقوم به اسرائيل ، والاجهزة الصهيونية المنتشرة في انحاء العالم ، حول أوضاع يهود البلاد العربية ، والذي اتخذ بالنسبة لسوريا شكل حملة منظمة ذات أهداف سياسية وعسكرية . ومن هنا تأتي أهمية المعلومات الواردة في هذه الدراسة ، اذ انها تشكل دحضا واضحا على كثير من الادعاءات التي نشرتها أجهزة الدعاية الصهيونية حول اوضاع الطائفة اليهودية في سوريا ، في معرض تنظيمها لهذه الحملة في السنوات الاخيرة . ومن أجل فهم الاوضاع الراهنة لليهود السوريين ، لا بد من أخذ التطورات الهامة التي طرأت على هذه الاوضاع خلال ربع القرن الاخير ، في كافة المجالات البشرية والسياسية والاقتصادية ، والتي كانت بدورها جزءا من التطورات العامة التي طرأت على مجمل المنطقة العربية خلال الحقبة التاريخية نفسها .